

اجتهادات بونابرت رابع !

مختلفا كثيرا عن الرؤساء السابقين. هكذا بدا الرئيس إيمانويل ماكرون خلال احتفالات فرنسا بعيدها الوطني قبل أيام. يشى سلوكه، الذى يمكن وصفه بأنه «فوق رئاسي»، بصحة توقعات ذهبت الى أنه يريد أن يكون «رئيساً - ملكاً» على النمط البونابرتي. لم يظهر على مدى شهرين أمضاها فى الإليزيه ما يدل على تقديره قيمة أن يكون هو شخصياً ظاهرة سياسية جديدة. صعد ماكرون فى أوساط الطبقة السياسية الفرنسية بسرعة مذهلة. ورغم السخط الشعبى على هذه الطبقة، وجد عدد يعتد به من الفرنسيين فيه حلاً لأزمته.

غريب ألا يُقدّر ماكرون قيمة تجربته هذه التى تحمل فى طياتها ملامح ظاهرة سياسية جديدة يمكن أن يُطلق عليها فى حال اكتمالها «الماكرونية»⁰

لم يشرع فى أى من المهام التى يتعين عليه القيام بها، وفى مقدمتها تحريك الجمود الذى خيم على المؤسسات الديمقراطية، واستعادة الحيوية السياسية، وفتح مناقشات جادة حول القضايا الرئيسية التى ينتظر الفرنسيون سياسات جديدة بشأنها. لم ينشغل ماكرون حتى الآن إلا برسم الصورة التى يبدو أنه يريد لها لنفسه، وهى صورة زعيم يقف فوق المؤسسات والقوى الاجتماعية والسياسية كلها، ويخاطب الشعب بشكل

مباشر، ناسياً فيما يبدو أنه لم يحصل سوى على ثلث أصوات الناخبين الذين يحق لهم التصويت. وهذا تفويض محدود للغاية لا يسمح له بتجاوز مؤسسات بعضها منتخب مثل البرلمان.

يبدو ماكرون مهجوساً بالظاهرة البونابرتية التي باتت جزءاً من تاريخ مضي، على نحو قد يطفئ الوهج الذي اقترن بصعوده السياسي، ويؤدي إلى انحسار الظاهرة «الماكرونية» قبل أن تتبلور في صيغة سياسية قد تعبر حدود فرنسا وتسهم في تجديد دماء بعض الديمقراطيات الغربية. وإذا مضى في هذا الاتجاه سيُفَرَّط في الممكن الضروري من أجل المستحيل. فهو لن يكون بونابرت رابعاً، لاستحالة إعادة إنتاج نابليون الأول، ونابليون الثالث، اللذين كان كل منهما ابن مرحلته في نهاية القرن 18، ومنتصف القرن 19. وقد فشل ديجول قبله في أن يكون بونابرت رابعاً في ستينيات القرن 20.

ولذا لن يسفر تطلعه لأن يكون بونابرت جديداً إلا خسارة فرنسا فرصة فريدة للانطلاق إلى الأمام 0 وعندئذ سيكون اليمين المتطرف هو الرابع الأول من انحسار «الماكرونية» قبل أن تتبلور وتقدّم صيغة تعيد الحيوية للنظام الديمقراطي.